

استراتيجية تعليم أطفال ذوي التخلف العقلي البسيط

الدكتورة دبراسو فطيمة

مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة

جامعة محمد خيضر

المخلص:

Résumé :

La catégorie des retardés mentaux légers est considéré parmi les personnes à besoins éducatifs spécifiques ; elle est appelée également la classe d'enfants capables d'apprendre car leur quotient intellectuel atteint 75 au Wechsler et ils peuvent avoir une maturité mental du niveau d'un enfant de 11 à 12 ans et accéder à la 5^{ème} année primaire s'ils trouveront une variété de stratégies éducatives et appropriées qui leur facilitent l'intégration dans la société. Ces enfants ont besoin de centres spéciaux pour une prise en charge psychologique, sociale et éducative. Cette dernière vise la création de stratégies éducatives spécialement pour chaque catégorie des différents types d'handicap mental et ce, selon ce qui convient avec leur niveau intellectuel.

Dans cette étude nous allons aborder ce sujet d'après la définition du retard mental léger, ses causes et les stratégies qui sont utilisées pour éduquer cette catégorie d'enfants .

تعتبر فئة ذوي التخلف العقلي البسيط من ذوي الاحتياجات الخاصة، و تسمى أيضا بالفئة القابلة للتعلم لأن مستوى ذكائهم يبلغ 75° على مقياس وكسلر ، كما يستطيعون بلوغ سن 11 إلى 12 سنة في مستوى النضج العقلي، والوصول إلى مستوى السنة الخامسة ابتدائي إذا ما وجدوا إستراتيجيات تعليمية متنوعة و مناسبة تسهل عليهم الاندماج في المجتمع، و يحتاج هؤلاء الأطفال إلى مراكز خاصة للتكفل بهم من الناحية النفسية و الاجتماعية و التربوية، هذه الأخيرة تهدف إلى خلق استراتيجيات تعليمية خاصة بكل فئة من أنواع التخلف العقلي و هذا حسب ما يتلائم مع مستواهم العقلي. وفي هذه الدراسة نحاول تحديد مفاهيم هذا الموضوع من خلال التعريف بهذه الفئة من الأطفال وأسباب حدوثها والإستراتيجيات التي تستخدم في تعليمهم.

مقدمة:

يعتبر موضوع التخلف العقلي اليوم من المواضيع متعددة الجوانب، وشديدة التعقيد، إذ تتطلب هذه الظاهرة تضافر جهود عدد غير قليل من العلماء في مختلف التخصصات مثل الطبيب والصيدلي وعالم الوراثة وعالم النفس والأخصائي الاجتماعي والنفسي والتأهيلي ، وولي الأمر .

ولا يقتصر موضوع التخلف العقلي على عامل واحد مؤثر في نشوئه

وتطوره، إنما يتعلق الأمر بوجه خاص بالتفاعل المشترك بين العوامل الوراثية أو العوامل البيئية التي يتعدى عددها المئات من العوامل الأولية والثانوية والتي يعزى إليها سبب حدوثه ، وقد حدا بريان كيرمان إلى القول بأن مفهوم التخلف الذهني هو نتاج لمدى قدرة المخ على العمل من ناحية ، ومدى ملائمة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد من ناحية أخرى⁽¹⁾. إن فئات التخلف العقلي البسيط تعاني عدة مشاكل وخاصة ما يخص المشاكل الأكاديمية مثل صعوبات في التعلم التي تشمل صعوبة القراءة ، والكتابة ، التعبير، اللغة، الحساب ، لذا من الواجب وضع مناهج وبرامج تعليمية خاصة بهم، خاصة أنهم فئة قابلة للتعلم ومناهجهم متنوعة ،لأنهم يختلفون فيما بينهم ،ويمكن تعليمهم في المدارس العادية لكن ليس بنفس السرعة والسهولة كالآخرين. وعلى المعلمين استخدام أنسب أساليب التعليم القائمة على المبادئ المستخلصة من نظريات التعلم ، وكذلك القائمة على الفهم السليم لخصائصهم المعرفية وغير المعرفية. انطلاقا مما قيل سوف نحاول في هذه الدراسة الإجابة على التساؤلات التالية.

1- ما هو مفهوم التخلف العقلي البسيط؟

2- ما هي أسباب هذا النوع من التخلف العقلي ؟

3-ما هي الإستراتيجيات التي تستخدم لتعليم هاته الفئة من الأطفال؟

أهمية الدراسة:

إن معرفة أسباب التخلف العقلي البسيط وأسبابه ضرورية جدا للأسرة والهيئات المختصة ، لأنه من خلالها نستطيع أن نحدد خصائص كل فرد من هاته الفئة من حيث قدراتهم العقلية واللغوية والجسمية ، والصعوبات الناتجة عن إعاقتهم كما تفيد هذه الدراسة القائمين عليهم من مربين و معلمي الدمج من الاستفادة من أهم الإستراتيجيات و الطرق في تعليمهم خاصة أنهم فئة تستطيع بلوغ مستوى معين من التعلم.

أهداف الدراسة:

- تعريف المجتمع بفئة من الأطفال من ذوي التخلف العقلي البسيط.
 - الكشف عن الأسباب المؤدية إلى هذه النوع من التخلف العقلي.
 - توضيح الإستراتيجيات التي يتم تعليم هاته الفئة من الأطفال بها.
- أولا:تعريف التخلف العقلي البسيط:**

يتم تشخيص هذا النمط من التخلف العقلي على أساس امتلاك نسبة ذكاء تبلغ أقل من (80) وعلى وجه التحديد بين (50-75) على اختبار الذكاء لوكسلر ، ويقع في هذا المدى غالبية المتخلفين عقليا(80%) إلا أنه وجهت انتقادات إلى محتوى تلك المقاييس وصدقها وتأثرها بعوامل عرقية ،ثقافية و اجتماعية(2). ولا يزيد من يحتاج إلى الإيداع في المؤسسة من هؤلاء عن (1%) والباقي قادرون على استكمال تعليمهم المدرسي في الفصول الخاصة، والكبار منهم يشغلون وظائف غير ماهرة، وهم يستطيعون إطعام والباس أنفسهم ويستطيعون كذلك قضاء حاجياتهم الخاصة، وفي مجال اللغة والاتصال يستطيعون استقبال واستعمال اللغة المناسبة مع الاتصال المفهوم ويستطيعون ربط علاقات صداقة ، وفيما يختص بالتكيف المهني يستطيعون الحصول على وظيفة وأن يتنافسوا إلى حد ما، في الوظائف غير الماهرة، والراشد الكبير يستطيع أن يتزوج وينجب ، ولكنه يحتاج إلى المساعدة في حالة تعرضه للضغط النفسي و الاجتماعي أو الاقتصادي(3) كما

يستطيع أفراد هذه الفئة الوصول إلى عمر عقلي من 10 إلى 12 سنة، وقدرة على التعلم حتى مرحلة الخامسة ابتدائي مما يمكنهم من تعلم الحساب والقراءة ، ولا يبدو على أفراد هذه الفئة ما يدل على إصابتهم باضطرابات في المخ، وعادة ما يوجدون بأسر تعاني من انخفاض مستوى الذكاء والمستوى الاقتصادي ، وتقدر نسبة الإصابة بهذا النوع من التخلف بـ2.5% وهي نسبة شائعة في أنحاء العالم⁽⁴⁾.

ثانياً:أسباب التخلف العقلي البسيط:

في حالة التخلف العقلي البسيط فإن عدد قليل من الأطفال يمكن إرجاع حالة التخلف العقلي لديهم لأسباب محددة ، ولكن من الواضح أن نسبة كبيرة منهم تأتي من الطبقات الدنيا من المجتمع ، حيث تنتشر عوامل مثل نقص الاستثارة الذهنية ونقص مستوى اللغة اليومية ، وفي الواقع فإن بعض الدول مثل روسيا وأيضاً في الوسط الطبي فإن الحالة لا تشخص على أنها تخلف عقلي إلا إذا كان هناك سبب عضوي يرتبط بالدماغ ورغم اختلاف وجهات النظر بين العلماء فقد حاول الكثير من الباحثين إرجاع التخلف العقلي البسيط إلى عوامل بيئية ونفسية ولغوية والتي سوف نتطرق إليها:

أ- الوراثة والبيئة:

يصعب تحديد دور الوراثة في التخلف العقلي البسيط لأنه من الصعب تحديد دورها والمحيط الذي تربي فيه الطفل هذا الأخير (المحيط) الذي يلعب دور كبير في تطور مستوى الذكاء حيث أنه أجريت بحوث على أطفال من آباء ذوي تأخر فكري تربوا في محيط ذو مستوى اقتصادي وثقافي متوسط ، تطور وتجاوز مستوى ذكائهم بكثير مستوى آباءهم . كما تلاحظ بحوث أن نسبة التخلف ترتفع في العائلات ذات الاضطرابات العقلية المتنوعة ودراسات العالم

(Tredgold) في بريطانيا يشير إلى أن 10% من آباء المتخلفين يعانون من تخلف عقلي و50% من المتخلفين يعطون أطفال متخلفين لأنه يمكن أن العيش

في عائلة متخلفة عقليا يؤثر على نوع التجارب وضعف المثبرات مما يخلف تخلف عند الأطفال نتيجة فقر و ضعف المحيط⁽⁵⁾.

ورغم أنه منذ قرن مضى أو نحو من ذلك كان هناك اتفاق بين المختصين في علم النفس على أن ذكاء الشخص أمر ثابت سبق تحديده وراثيا في مرحلة الحمل (الإخصاب) وقد لاقت هذه الفكرة تأييدا من ثلاثة من المفكرين المرموقين هم سيرافرانيس جالتون (Galton) وماكين (Cattell) وستانلي هول (Hall)، وكذلك من ثلاثة من الرواد الأوائل في حركة القياس النفسي هم هنري جودارد (Goddard)، وف. كوهلمان (Cuhmann) ولويس (Terman)

وقد بدا من الأدلة المأخوذة من البحوث أن هناك تعضيد للاعتقاد الخاص بأن الذكاء ثابت من مرحلة عمرية إلى مرحلة عمرية أخرى، كما أن الأقارب داخل الأسرة يبدو أن مستوى الذكاء لديهم يكون متشابها، ولكن مع مرور الوقت ازدادت الشواهد الدالة على أن التخلف العقلي البسيط يرتبط في الغالب مع بعض العوامل البيئية مثل الفقر مما أدى إلى أن يتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن البيئات المحرومة قد تعطل النمو الذهني.

وقد أدى هذا الاعتقاد إلى فكرة أن التدخل المبكر من جانب الهيئات التعليمية لإثراء خبرات الطفل قد تعوض عن الحرمان الثقافي⁽⁶⁾. وقد بلغ الامر ببعض مؤيدي التأثير البيئي على النمو الذهني أن يقولوا بأن كل الأطفال يولدون متساوين في الذكاء ذي المنشأ الوراثي وأن أي اختلافات تلاحظ إنما ترجع إلى الخبرات الفارقة لهؤلاء الأطفال في الفترة من مولدهم إلى ملاحظتهم، فقد يولد الطفل ذكيا، ولكن انعدام الحوافز والمؤثرات من بيئته، قد يجعل الطفل متأخرا عقليا، إذن فرعاية الطفل، وتوفير الجو الملائم لنموه من شأنه أن يزيد من احتمال بلوغ الطفل الحد الأقصى من إمكانياته الذكائية وإهماله يؤدي إلى عكس هذه النتائج⁽⁷⁾.

ويمكن القول بصفة عامة فإن التنشئة الاجتماعية في بيئة الطبقة الدنيا تفتقد في الغالب إلى نوع النماذج اللغوية والمساعدة في ارتقاء الكلام لدى أطفال الطبقة الوسطى الذي يكون ضروري بالنسبة للطفل لأنشطته المدرسية⁽⁸⁾.

ب- البيئة النفسية والعوامل العلائقية:

فالعوامل العلائقية والعاطفية تتعلق بمجموعة التجارب الشخصية الانفعالات ، الأحاسيس التي عاشها الطفل في علاقته مع الغير، وهذا يدل على مدى أهمية الحياة العلائقية في النمو العاطفي، خاصة ما يتعلق بالمحيط الأسري ، باعتباره أول محيط يقيم معه الطفل علاقاته الأولية، لذلك فإن التفاعل الذي يكونه الطفل مع محيطه هو الذي يظهر عليه ملامح تميز نوعية هذه العلاقات سواء كانت هذه الأخيرة سلبية أو إيجابية بالنسبة له و التي تتحكم في كل العلاقات المستقبلية⁽⁹⁾.
ونظرا لأهمية هذه العلاقة (أم - طفل) فقد ركز علماء كثيرون عليها في ظهور بعض الاضطرابات النفسية والعقلية وخاصة الحرمان العاطفي الذي يعرف بأنه "غياب عدة تقديرات ضرورية للنمو العقلي والثقافي ولنمو العاطفة و الشخصية"⁽¹⁰⁾.

وفي هذا السياق تقول ميلاني كلاين (Mélanie Klayne) أن الطفل عندما يدرك الأم كوحدة مستقلة وكاملة عنه سوف يتعرف من خلالها على نفسه كموضوع وككل مستقل، وهذه المرحلة تتزامن مع الوعي بالذات كشخص مختلف عن الآخرين، كذلك تظهر المناغاة التي يتكون من خلالها الحوار مع الأبوين والطفل⁽¹¹⁾.

فالأمر عندما تلعب مع طفلها وتتأخيه هذا التبادل الصوتي يدعم النمو اللغوي والعاطفي وعندما يحرم الطفل من هذا الحمام الصوتي (Bain sonore) يكون السبب في العديد من الاضطرابات العاطفية واللغوية⁽¹²⁾.

كما يؤثر سوء المعاملة الأمومية على التوازن النفسي والعقلي وهناك نظريات كثيرة تركز على الإثارة والتحريض الحسي-الحركي والعقلي ودوره في النضج العصبي وفي اكتساب مهارات عديدة، فقد ظهرت على الأطفال المحرومين عاطفياً اضطرابات حركية فيما يخص القبض، عدم التحكم في اليد ضعف التنسيق بين الحركة والعين (قبض في الفراغ)، ضعف الاهتمام بالأشياء.

كما لاحظ أوبري (J-Aubry) أن حاصل النمو (Q.) ينخفض بقدر ما ازدادت مدة الحرمان، النمو يضطرب، ويمس التدهور الذكاء العام وتكوين المفاهيم والتجريد، وضعف الفهم والتركيز والانتباه وعدم وضوح العلاقة بين الأشياء و ترابطها⁽¹³⁾.

إن التوظيف النفسي للطفل من طرف أمه محيطة يعطى له الإحساس بالقيمة والتقدير والاستمرارية، وهذا ما يؤدي إلى تكوين ثقة في الذات (مع توظيف جسمه وذاته وحبها) وفي محيطة مما يفتح له المجال بالمبادرة والابتكار ويقوي رغبته في الحياة وفي النمو.

إن معرفة أسباب التخلف العقلي وتصنيفاته ضروري جداً للأسرة والهيئات المختصة، لأنه من خلالها نستطيع أن نحدد خصائص كل فرد من هاته الفئة من حيث قدراتهم العقلية واللغوية والجسمية، والصعوبات الناتجة عن إعاقتهم، وبالتالي يمكن تقييم احتياجاتهم التربوية والنفسية لإعداد برامج تأهيلية تناسب كل فئة وفي سن مبكرة لكي تكون العملية ذات فائدة أكثر خاصة بالنسبة لفئة التخلف العقلي البسيط التي تصبح أقل ذكاء بسبب ظروف خاصة في الأسرة والمدرسة أو المجتمع.

حيث تشير الأبحاث إلى أن الأطفال المنحدرين من وراثة مماثلة يمكن عن طريق التربية الاجتماعية الجيدة والتي تبدأ منذ الطفولة المبكرة أن تكون لديهم قدرات عادية وتزيد من كفاءتهم العقلية والمعرفية.

ثالثاً: استراتيجيات تعليم المتخلف العقلي البسيط:

إن التعلم هو مجموعة من العمليات الداخلية غير الملاحظة والتي تحدث مع التدريب أو الممارسة ، وأن هذه العمليات هي التي يعتمد عليها التغير السلوكي الذي يلاحظ على الناس عندما يقومون بالمهمة ، ويمكن إثبات عملية التعلم من مؤشرات أخرى كزيادة السرعة المنجزة بها المهمة أو التحسن في الاحتفاظ ، إذن نستطيع أن نعتبر أن التعلم متأصل مع مفهوم الذاكرة إذ يقول العلماء أن التعلم يحدث عندما يمتلك الفرد ذاكرة لذلك الشيء .

وكما ذكرنا سابقاً بأن الجانب الأكبر من حالات التخلف العقلي يبدأ التعرف عليهم وفرزهم كحالات غير قادرة على التعلم في نظام التعليم العادي في مرحلة المدرسة الابتدائية.

ويرى ستيفنسن (Stevenson 1982) أن الأطفال المتخلفين يطورون مجموعات تعلم أبداً عن الأطفال غير المتخلفين المساوين لهم في العمر الزمني وأنه يمكن تسهيل عملية تكوين مجموعات التعلم في موقف حجرة الدراسة.

وبقدم باين وبولواي وسميث وباين (Payne polloway Smith et Payne 1965)

الاقتراحات التالية:

- إمنع تطور مجموعات الفشل التي تتداخل مع التعلم عن طريق إتاحة الفرص لخبرات النجاح.

- قدم المحتوى الذي يتسم في تتابع من الأسهل إلى الصعب.

- قدم المعلومات الواقعية والتصويرية في تتابع.

- ساعد الطفل في تطوير القواعد والتعليمات الاستراتيجية الوسيطة) لنقل

المعلومات التي تعلمها لخبرات جديدة.

- عزز الاستجابات الصحيحة لكي تؤكد على الخبرات الناجحة.

وتشير الدلائل المتوفرة أن قدرة الأطفال ذوي التخلف البسيط على نقل أثر

التدريب ليست قاصرة بشكل جوهرى إيفانزوبيلسكر (Evans et bilsky 1979) غير

أن الأطفال ذوي التخلف المتوسط والشديد أو العميق يظهرون مشكلات في هذا المجال ستيفنز (Stephens 1972) وفيما يلي بعض الاقتراحات الخاصة بالعمل مع الطفل المتخلف عقليا الذي يعاني من قصور (عجز) في تطور مهارات التعميم (نقل أثر التدريب) .

- مراعاة العمر الزمني للفرد لأنه له تأثير على القدرة على نقل أثر التعلم، لأن الأطفال الأصغر سنا ينقلون أثر التعلم بسهولة أكبر من الأطفال الأكثر سنا (عند المتخلفين أو الأسوياء).

- تقترح البحوث أيضا أن الفرد المتخلف يمكنه أن ينقل التعلم في أفضل صورة عندما تكون المهمة الأولى والمهمة المنقولة لها للتعلم متشابهين إلى درجة كبيرة، ويكون نقل أثر التدريب في أقصى فاعلية إذا كان هناك عددا معقولا من العمليات الداخلة في المهمة الأولى يمكن أداؤها كوحدة في المهمة المنقول لها .

- يبدو أن الدلالة (وجود معنى) لها أهمية بالغة بالنسبة لقدرة الأشخاص المتخلفين على نقل الخبرة إلى موقف آخر.

- يبدو أن الأشخاص المتخلفين تكون لديهم القدرة على نقل أثر التدريب بشكل أكثر فاعلية إذا كانت التعليمات المعطاة لهم أكثر عمومية مما لو كانت منفصلة ومحددة وتبدو هذه النتيجة مختلفة عند الأشخاص المتخلفين حيث يكون أداؤهم أفضل عندما تتوفر تفصيلات أكثر.

ويبدو أن الأطفال المتخلفين عقليا يكونوا قادرين على التعلم إذا زودوا بطريقة تدريب مناسبة، وقد اقترح الباحثون في هذا المجال عدة طرق تساعد على ذلك، وتقلل من اضطرابات التعلم عندهم وتمثل في:

أ-توزيع الممارسة:

بينما يظهر الأشخاص غير المتخلفين القدرة على الأداء الجيد باستخدام الممارسة التجميعية (الكتلية) كما يحدث على سبيل المثال من عملية حشو الدماغ استعدادا للامتحانات ، فإن الدراسات تقترح أن الممارسة الموزعة تحسن من الأداء

التعليمي للأشخاص المتخلفين عقليا عن الممارسة التجميعية وبالدرجة أكبر عما يفعله بالنسبة للأشخاص العاديين.

ونقصد بتوزيع الممارسة أن يكون التدريب أثناء التعلم على فترات بينهما راحة وبذلك ينبغي على مدرس التربية الخاصة أن يعطي للتلميذ المتخلف عقليا حصصا متكررة للممارسة ، وبشرط أن تكون هذه الحصص قصيرة .
كذلك يجب للمدرس أن يتيح الفرصة للطفل المتخلف في الممارسة في مواقف وظروف متنوعة ، وأن يعطي الفرصة للتكرار المفيد، وهذا من شأنه أن ينتج عنده معدل أكبر في الاكتساب (التعلم) ودرجة أكبر في الحفظ درو وزملاؤه)
(Drew et al 1990).

ب - تعلم المفاهيم العيانية والمفاهيم المجردة:

كلما زاد المعنى والعيانية (إمكانية الملامسة الفعلية) في المادة أو المعلومات المقدمة للأطفال المتخلفين كلما زاد ميلهم لتعلمها ، والمعروف عن المتخلفين عقليا النقص في الملاحظ عندهم في فهم أو الاحتفاظ بالمعاني المجردة والتي تكون ضرورية للتفكير المنطقي والاستدلال ، لذا فينصح الآباء والمدرسون أن لا يعلموا الشخص المتخلف شيئا غير موجود أمامه إذا كان هذا الشيء متاحا في موقف الحياة العادية، والطفل المتخلف يمكنه أن يلتقط المفاهيم بشكل أكبر إذا كان الشيء الحقيقي موجودا أمام عينه وقابل للملاحظة الفعلية وليس مجرد صورة لهذا الشيء فثمة بدلا أن ينظر في صورة تشتمل على رجال إطفاء وأجهزتهم فإن تعلم الطفل المتخلف سيكون أسرع وبدرجة أكبر إذا أخذناه في زيارة لمحطة إطفاء الحريق .

ونفس الشيء يمكن قوله إذا صحبناه في زيارة إلى حديقة حيوان بدلا من تزويده بصور الحيوانات فقط ، وهذا ما يطابق مفهوم مطابقة الوسائل للموقف التعليمي ونقصد بها اختيار الوسيلة التعليمية التي تؤدي الغرض بالنسبة للموقف التعليمي فإذا كنا بصدد دراسة الشكل الظاهري لحيوان معين مثل الضفدعة

فإن خير مصدر نرجع إليه هو الحصول على الحيوان نفسه، وإذا كنا بصدد تعلم الكلمات فيجب البحث عن معناها وربطها مع الكلمة أو عن طريق الاشتراط أي ربط الكلمة مع الشيء (L`objet) لأن الهدف اكتساب المعنى الرمزي⁽¹⁴⁾، لأن الكلمة أو الاسم ليس سوى صورة سمعية أو بصرية أو حركية التي تصبح كمثير إشرطي قادر على إصدار نفس الاستجابة للشيء المجرد ، الكلمة ليست علامة أو إشارة لشيء مجرد و لكن لفكرة أو مفهوم⁽¹⁵⁾.

رابعا-تطبيقات نظريات التعلم في مجال التخلف العقلي:

ليس هناك ما يشير إلى اختلاف التفسيرات التي يمكن أن تفسر كيفية تعلم الأشخاص المتخلفين عقليا من غيرهم من الأشخاص العاديين ، وبذلك فإن نظريات التعلم القائمة الآن يمكن أن تصلح كنماذج لتفسير تعلم الأطفال المتخلفين عقليا فسوف نركز على عرض نظرية التعلم بالملاحظة والتعلم الاجتماعي والنظرية السلوكية (الإجرائية)، لما لهم من أهمية في التقليل من اضطرابات التعلم عند المتخلفين وخاصة ذوي التخلف العقلي البسيط.

1-تطبيقات نظرية التعلم بالملاحظة:

يمكن القول بأن الأطفال المتخلفين عقليا يتأثرون بما يشاهدونه من سلوكيات الآخرين على النحو الذي يتأثر به الأسوياء، وقد أظهرت بعض الدراسات التي أجريت على المتخلفين المقيمين في المعاهد أنهم يقلدون الجوانب الثقافية التي لاحظوها قبل دخولهم المعهد فيما يتعلق بارتداء الملابس واللغة والالزمات الخاصة، وبما أنهم يعانون من نقص الانتباه والتعلم المعرفي فلذلك كان من الضروري أن يركز انتباههم على الأبعاد البارزة من السلوك المنتهج لكي يتعلموا فقط السلوكات المطلوبة وليست الجوانب السطحية غير المرتبطة بها.

وفي رأي التمان وتوكنجوتن (Altman et Talkington 1971) أن النمذجة (Modeling) (التعلم من النماذج) ينبغي أن تزداد بالنسبة للأفراد المتخلفين عقليا باعتبار أنهم يعتمدون على الملمحات الخارجية في حل المشكلات ويطلق تيرنيور

وزيجلر (Turnure et Ziegler) على هذه العملية التوجيه من الخارج وعلى رغبتهم في الوفاء بالمحافظة على الاتصال الاجتماعي ، وفي نظام المسار الموحد فإن المدرسين عليهم أن يكونوا حذرين في استخدام النتائج المناسبة للسلوك المرغوب منه وغير المرغوب) إدراكا منهم أن الآخرين في حجرة الدراسة قد لاحظوا أحد الأطفال يحظى بانتباه المدرس لقيامه بسلوك معين، وقد يحدث هذا نتيجة لا يفهمها المشاهدون (ملاحظو السلوك) بشكل كامل ، وبذلك فإنهم يقلدون السلوك ليحصلوا على نفس المعاملة (أي انتباه المعلم) وفي حالة ما أظهر طفل متخلف سلوك غير مرغوب فيه أو غير مناسب فإن المدرس قد يأخذ في عين الاعتبار استخدام أسلوب لعدم الموافقة بدل إهماله وحينئذ فإن الطفل قد يقلد السلوك الملاحظ اعتبارا منه بأنه سلوك مناسب أو مقبول لأنه لم يعاقب.

لقد أجرت عدة تجارب وبحوث حول استخدام النماذج السلوكية في مجال التخلف العقلي يبدو منها أن هذا الأسلوب يعد أسلوبا واعدا للاستخدام في المجال.

- هناك احتمال قائم أن أي سلوك يلاحظه الطفل يمكن أن يقلده بصرف النظر عن ذكائه ، وهذا يفرض على الآباء والمدرسين مسؤولية الانتباه لسلوكهم الشخصي، ومن أمثلة هذه السلوكيات ، نوبات الغضب ، اللغة القبيحة المهاجمة اللفظية... الخ وفيما يلي بعض التطبيقات التي تستحق الذكر:

- ينبغي لفت انتباه المدرسين للطلاب الذين يظهرون سلوكيات مرغوبة وأن يتخذوا منهم نماذج ليبقى الطلاب في حجرة الدراسة.

- يجب تفتن المدرسين لإمكانية محاولة السلوك غير المقبول لإطفائه (إخماده) عادة عن طريق إهماله حتى لا يظن الآخرون في حجرة الدراسة أو يفترضون بأنه سلوك مقبول، وإذا بدأ الآخرون في تقليده فإنه من الأحسن أن يستخدم المدرس العقاب.

- إن الدراسات التي تمت في مجال التعلم بالملاحظة تشير إلى أهمية وسائل الإعلام والوسائل التعليمية في هذا الجانب - وتشير نتائج دراسة قام بها ليتروينك (Litroink 1972) أن الأشخاص المتخلفين ينتبهون بشكل أكبر لأشرطة الفيديو عن الأشخاص العاديين.

2-تطبيقات نظرية التعلم الاجتماعي:

أصحاب هذه النظرية يؤكدون على التفاعلات بين التلميذ وزملائه التلاميذ وكذلك التفاعلات بين التلميذ والمدرس أكثر مما يركز على استراتيجيات التدريس يعتبر المراجعة التي قام بها العالم كرومويل(1963Cromwell) هي أكبر المراجعات وأشملها للبحوث التي استخدمت نظرية التعلم الاجتماعي مع الأشخاص المتخلفين عقليا حيث أظهرت أن الأفراد المتخلفين لديهم توقعا معمما عاليا للفشل، ويظهرون أيضا ميلا للتجنب (الهروب) أعلى من العاديين وقد كانت هذه النتيجة هي التي قادت كرومويل إلى افتراض منظومة -لاقتراب من النجاح ، (الإقدام على النجاح) وتجنب الفشل الخاصة بالدافعية والتي في إطارها يتصف المتخلفون بأنهم متجنبون للفشل، وفي الواقع فإن الأطفال ذوي الذكاء العادي الذين يحققون بشكل زائد لأسباب أخرى غير انخفاض القدرة الذهنية (مثلا وجود صعوبات التعلم) يتوقع منهم إظهار نفس الخصائص.

إن الأطفال المتخلفين عقليا ينتقلون من منظومة دافعية اللذة إلى منظومة الإقدام على النجاح وتجنب الفشل في مرحلة لاحقة من العمر (الزمن) عن العاديين كما أنهم يظهرون مركز ضبط خارجي لفترة زمنية أطول عن العاديين⁽¹⁶⁾.

أما بالنسبة للأطفال العاديين فإن الدرجات البسيطة من الفشل تميل إلى أن ينتج عنها جهد أكبر - بينما بالنسبة للأطفال المتخلفين عقليا فإنهم لا يزيدون جهدهم بعد الفشل البسيط ، وعلى أي حال فإن الفشل التجريبي قد لا يدركه الأطفال المتخلفون على أنه فشل فعلي ، وعلى سبيل المثال فإنه بينما يرى الباحث

القائم بالتجربة أن 60% خطأ على اختبار ما يعتبر فشلا فإن الطفل المتخلف قد يعتبرها نجاحا حيث أنه نادرا ما يحصل على 40% من الإجابات الصحيحة على اختبار أو مهمة مماثلة ، وفي الواقع فإنه طالما أن نفس الدرجة من الفشل يمكن إدراكها بصورة مختلفة من جانب الطفل تبعا للخبرات السابقة مع النجاح والفشل مثلا الأطفال الموهوبين مقابل الأطفال المتخلفين فإن الصورة البسيطة من الفشل قد تكون أكثر ضررا للأطفال الموهوبين عن الأطفال المتخلفين نتيجة لما يجرونه من مقارنات مع خبراتهم العامة.

وهناك مسألة هامة بالنسبة للأطفال المتخلفين عقليا هي أنهم يستخدمون قدرا كبيرا من الطاقة قد يتجه إلى ، عدم الاشتراك و ملاحظة المهام وتقليل الإحساس بالفشل من خلال عدم التنافس.

ونلاحظ بأن كلا من السلوكيات الخاصة بالتجنب تعتبر عائقا للنمو فإن الطفل المتخلف يتجنب مثل هذه المهام والخبرات إذا رآها كمصادر للفشل الممكن. قد لا يكون هناك استخدامات مباشرة واضحة لنظرية التعلم الاجتماعي في مجال التدريس وطرقه، ولكن قد تكون ذات استخدامات محددة في بناء البيئة الاجتماعية التي يتم فيها التدريس.

- على المدرسين والآباء أن يحتفظوا بتفاؤل أساسي نحو أطفالهم المتخلفين، وعليهم أن يبنوا المواقف بحيث يمكن عكس مجموعة الفشل لهؤلاء الأطفال على الأقل تجسيدها في محاولة لتعظيم النجاح لدى الطفل وتقديم المساندة الشخصية الفورية للطفل إذا أخفق.

- يجب ممارسة الدقة في اختيار المهام للطفل بقصد ضمان احتمالية عالية للنجاح، وباستخدام أسلوب التلقين أن تزيد من فرص النجاح.

- يجب أن يكون المدرسون منتبهين للأساليب التي يظهر بها الأطفال سلوك التجنب حيث قد يرغبون في استخدام أساليب مثل التشكيل Shaping (أي تعزيز المهمة وتقريبها) وذلك بجعل الطفل يعمل مع المهمة عندما يحاول تجنب لفشل.

وبالإضافة إلى ذلك فإنه عندما يكون الطفل قد عاش جرعات كبيرة من الفشل في مواقف معينة (مثلا في الحساب) فإن المدرس قد يحاول مواجهة ردود فعل التجنب الفورية بتغيير الموقف بطرق مبتكرة وعلى سبيل المثال فإن المدرس قد يبتعد عن تدريس الحساب عن طريق الكتاب ويجعل الطفل يحل الواجبات على السبورة.

3- تطبيقات النظرية السلوكية (الإجرائية) :

تعتبر هذه النظرية من أوسع نظريات التعلم استخداما في مجال التخلف العقلي وقد أصبحت مع الوقت ذات تأثير كبير في مجال التعليم كما أثرت على ميادين أخرى مثل الإرشاد والعلاج النفسي وتعديل السلوك.

تهتم هذه النظرية بتفسير التخلف العقلي في صورة تراكم إجراءات ضمن التطبيقات التي قام بها بيجو (Pigeon 1966) حيث تهتم بوصف العلاقة بين سلوك الفرد (الاستجابات) وأحداث البيئة التي تفرض ضبطها على هذه الاستجابات وتفترض هذه النظرية الإجرائية أنه ليست هناك ما يدعو إلى الاهتمام بالمتغيرات بطريقة موضوعية.

فالسلكيون الإجراءيون لديهم نظرة مختلفة عن نظرة المدرسة المعرفية فهم يرفضون التصنيف التقليدي لفئات أو مجموعات، وكذلك اعتبارات التشخيص والتفسيرات الدائرية للأداء الضعيف ، وبدلا من ذلك فإنهم ينظرون إلى السلوك المحدود أو الأداء الضعيف على أساس خطأ في التعلم السابق للشخص أو نقص في التعلم ويسعون إلى استغلال البيئة ، وتطويعها بطريقة تساعد على تعلم هؤلاء الأشخاص.

وفي محاولة استخدام التعلم المناسب فإن السلوكيين يحاولون :

*تقديم العلامات (الملمحات) (Clues) الصحيحة وبالتالي زيادة احتمالية حدوث الاستجابة المرغوبة.

* انتقاء النتائج الفعالة بالنسبة لهذا الطفل بعينه .

* ربط المثير بالاستجابة المرغوبة بفرض ضبط على هذه الشروط .
وحيث أن ضبط هذه الشروط أو العلاقات هو المفتاح للبرنامج الناجح لتعديل السلوك فإن اصطلاح إدارة العلاقات يستخدم بوصف الدور الذي يقوم به المدرس أو المرشد أو المعالج.
وأفضل ما في السلوكية هي أن المعالج لا يفرض حدود على ما يمكن للطفل المتخلف عقليا أن يتعلمه.
ويقدم ماكميلان (Macmillan 1977) التوصيات الآتية حول استخدام قواعد الاشراف الإجرائي في تعليم المتخلفين عقليا:
-قدم بانتظام العلامات الموقفية التي تضبط فئات السلوك المرغوبة(الانتباه للمدرس) لكي يسهل التعلم.
- تعرف على النتائج الفعالة لكل طفل على حدة(المعززات) وتجنب افتراض أن مثيرا معيناً مثل (الامتداح) سينجح مع كل الأطفال.
- اجعل هذه النتائج الفعالة معلقة على الاستجابة التي تفي بمستوى سبق تحديده وفي المراحل المبكرة من التعلم.
- عزز أي درجة من التحسن ومهما كانت بسيطة ولا تنتظر حتى يتم السلوك المطلوب ثم تعززه.
- حدد الأنشطة التي يستمتع بها الطفل ، والتي يمكن أن يستخدمها كمعززات للسلوكيات التي نريدها ، ولكن الطفل يكون أقل ميلا لأدائها.
- قدم النتائج (التعزيز أو العقاب) فور إصدار السلوك وبصفة خاصة في المراحل الأولى للتعلم⁽¹⁷⁾.

خاتمة:

إن هذه الإستراتيجيات التعليمية تختلف كثيرا عن التي تستخدم مع الأطفال العاديين، لأن هذه الفئة لها خصائص معرفية و نفسية و اجتماعية مختلفة، كما أنها تفيد كثيرا المعلمين والقائمين على تعليم هذه الفئات سواء في المراكز

المختصة أو في المدارس العادية ضمن سياسة الدمج وعلى وضع تصوراتهم الخاصة أثناء تخطيطهم وتنظيمهم لعملية تعليم تلاميذهم المتخلفين عقلياً وفي مواجهة الصعوبات والمشكلات التي تقابلهم أثناء تعرضهم للمثيرات المختلفة خلال مراحل التعلم حتى يتم تعليم هاته الفئة من الأطفال بالطرق السليمة وتحقيق الأهداف المرجوة في تعليمهم.

الهوامش:

- 1- رمضان محمد القذافي ، رعاية المتخلفين ذهنياً ، بيروت، المكتب الجامعي الحديث ، 2001 ، ص12.
- 2- ماجدة السيد عبيد، الإعاقة العقلية ، ط1، عمان، دار النشر للصفاء والتوزيع، 2002، ص27.
- 3- عبد الرحمن العيسوي: التخلف العقلي، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة، 1999، ص98.
- 4- ماجدة السيد عبيد، الإعاقة العقلية، ط1، عمان، دار النشر للصفاء والتوزيع، 2002، ص16.
- 5- بدرة معتصم ميموني، الإضطرابات النفسية والعقلية عند الطفل والمراهق، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2003م، ص130.
- 6- صالح شيخ كمر : الجوانب الطبية النفسية للتخلف العقلي في الطفولة ، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 1994، ص96.
- 7 - محمد محروس الشناوي ، التخلف العقلي ، الأسباب التشخيص البرامج ، ط1 ، القاهرة دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 1979 ، ص132.
- 08- لا بلاش (ج)، بونتاليس(ج ب) : التحليل النفسي ، ترجمة مصطفى حجازي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1985 ، ص320
- 09- محمد محروس الشناوي ، مرجع سابق ، ص144- 145 .
- 10- Lafan (R) : Vocabulaire psychopédagogique et psychiatrie de l'enfant , Paris, édition PUF ,1980,p140.
- 11- Aimard (p) : l'enfant et son langage , France, edition,simep, ,1974.p253.254.
- 12- فيكتور سيمونوف : التحليل النفسي للولد ، ترجمة فؤاد شاهين ، ط2 ، الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية، 1985 ، ص57.
- 13- بدرة معتصم ميموني ، مرجع سابق ، ص173.

- 14- ابراهيم وجيه محجوب ، التعلم والتعليم والبرامج الحركية، ط1، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2002، ص255.
- 15- Marie de maistre , déficience mentale et langage , encyclopedie universitaire , Paris ,edition universitaire ,1968 p106.
- 16- عبد الرحمن سيد سليمان، مرجع سابق، ص194-195.
- 17- محمد محروس الشناوي ، مرجع سابق، ص202-203